

## بلاغة التعبير في سورة التكوير

- دراسة تحليلية -

م.م. حمدي عباس جاسم الخفاجي

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بالإحسان إلى يوم الدين. وبعد فإن من أسرار البلاغة العربية وذوقها أن تساير الأساليب المختلفة وتتماشى مع المواقف والسياقات حسبما يتطلبه المقام اللغوي والنفسي، ومن المعلوم أن سياقات الكلام تختلف باختلاف المقام، فتختلف الألفاظ والجمل تبعاً لذلك، وما يصلح من لفظ في سياق لا يصلح في غيره، ولا يؤدي المعنى والدلالة نفسهما، وهذا ما تتميز به بلاغة التعبير في النص الأدبي.

والتعبير القرآني له نظمه العجيب وتركيبه الفريد الذي يأخذ بالآل باب ويسوق إليه أعناق البيان، فكان من إعجاز القرآن أنه أقام أبنية من النظم الكلامي غير مستندة إلا على ما بينها من تناسق تركيب، وتجاذب معنوي، أحكمه الحكيم العليم، وقدره اللطيف الخبير.

ومن هنا جاء اختياري لموضوع (بلاغة التعبير في سورة التكوير) لما وجدت في هذه السورة الكريمة من أسرار بلاغية استرعت إهتمامي، فحاولت الكشف عن مواطن التعبير القرآني في سورة التكوير من خلال استشفاف الفرق الحاصل بين كلمة وأختها، وحرف وحرف آخر مقارب له، وجملة وجملة أخرى؛ تجانسها في الاستعمال تخالفها في الخصوصية، فلم يقتصر المنهج على باب أو فصل أو مبحث بل على عموم وخصوصية كل تعبير من سورة التكوير، معتمدة المنهج التحليلي القائم على أسس ثلاثة:-

الأول: تحديد المعنى المستمد من الكلمة المستعملة بعد النظر في دلالة

السياق والمقام، والبحث عن كلمة بديلة تبدو مقاربة في المعنى

لللمة المستعملة

الثاني:- الكشف عن مناسبة معنى الكلمة المستعملة للسياق والمقام دون معنى الكلمة البديلة.

الثالث:- الكشف عن الأصوات وما تؤديه من معنى في السياق والبحث عن اثرها في النص، ومن الله التوفيق.  
بين يدي السورة:-

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسَمُ بِالْخُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَبَّحَهُ اللَّهُ الْعَظِيمَ

الجو العام للسورة:-

سورة التكوير هي سورة مكية ، عدد آياتها (تسع وعشرون) آية ، ترتيبها الحادية والثمانون ، نزلت بعد سورة المسد ، يدور محور السورة حول حقيقتين هامتين هما : ( حَقِيقَةُ الْقِيَامَةِ ) ، وَحَقِيقَةُ ( الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ) وَكِلَاهُمَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ .

تتكون السورة من بنية مركبة منقسمة إلى ثلاثة أقسام :-

الأول منها: مشهد تصويري ليوم القيامة من الآية (١ - ١٤)

والثاني:- مشهد قسَمي تصويري من الآية (١٥ - ١٨)

### والثالث:- المحاجة العقلية من الآية (١٩ - ٢٩)

يقال لها سُورَةُ كُورَتْ ، أو سُورَةُ إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ، وتسمية (سورة التكوير) في المصحف القرآني حالها حال أغلب السور القرآنية بعد جمع القرآن وترتيبه بالرسم العثماني في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كما هو معروف ، فجاءت تسمية السورة ووسمها بـ(التكوير) في زمن الخليفة الثالث ، من باب تسمية الكل بالجزء كما هو الحال في معجم العين والحماسة وغيرها من الكتب؛ فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يسمها بـ(تكوير)، ذلك حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (( من سره أن ينظر إلى يوم قيامه كأنه رأى عين فليقرأ: " إذا الشمس كورت " و " إذا السماء انفطرت " و " إذا السماء انشقت " ))<sup>(١)</sup> .

وورد التكوير في القرآن الكريم ثلاث مرات ، وكلها مبنية للمجهول مرتان في سورة الزمر ((خلق السموات الارض بالحق يكور الليل عن النهار ويكور النهار عن الليل))<sup>(٢)</sup> ومرة واحدة في التكوير ((إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ)).

تذكر كتب التفسير سبباً لنزول الآية (٢٨) والآية (٢٩) من سورة التكوير ، ((أخرجه ابن جرير عن سليمان بن موسى ، قال: لما نزلت ((لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)) قال أبو جهل: ذاك إلينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم ، فأنزل الله ((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))<sup>(٣)</sup> .

### الدراسة التحليلية للسورة

رب سائل يسأل فيقول: لماذا جاء ممفتح السورة القرآنية بأسلوب الشرط ؟دون غيره من الأساليب ؛كالأمر ((قل اعوذ برب الفلق))<sup>(٤)</sup> ، أو القسم (( والتين

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي ٢٣٥/١١

(٢) سورة الزمر: ٣٩.

(٣) تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم بالرسم العثماني ،جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ٧١٢، وينظر: تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير ، راجعه وخرج أحاديثه الشيخ ايمن محمد نصر الدين وزميله: ٦٧٤.

(٤) سورة الفلق: ١.

والزيتون وطور سنين ))<sup>(١)</sup>، ولماذا يكون بـ(إذا) الشرطية دون غيرها من أدوات الشرط مثل (إن) الشرطية ؟

لما كانت أداة الشرط (إذا) المكررة اثنتا عشرة مرة تطلبت في كل مرة فعلاً للشرط، فلا يتحقق الجواب دون وجود فعل الشرط الذي هو (أساس الحدث)؛ وفعل الشرط محذوف يفسره كل من (كُورَت، وانكدرت، وسُيرت، وعطَلت، وحُشرت، وسُجرت، وزُوجت...الخ)، في قوله تعالى: ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)) ونائب الفاعل بعد (إذا) : في كل من: الشمس والنجوم والجبال والعشائر والوحوش والبحار والنفوس...الخ: فحذف (فعل الشرط) يصرف الذهن نحو هول الصور المتلاحقة تبعاً وفق النظام الشرطي، وإزاء ذلك نجد لأسلوب الشرط طواعية نحو ضم مشهد أو صورة إلى أخرى بعد كل (إذا) جديدة، ويسمى أحد الباحثين هذا التركيب من الشرط (نمط الصورة الشرطية) إذ يرى: ((أن المعنى في الجملة الشرطية لا يتم إلا بوجود جملتي الشرط وجوابه...وهذا يعني أنه مهما نضف من جملة الى جملة الشرط...فإن المعنى يكون ناقصاً حتى يؤتى بجملة جواب الشرط))<sup>(٢)</sup>؛ وجملة ((علمت نفس ما أحضرت)) جواب الشرط أتمت المعنى وناسب التعبير؛ فصرفت ذهن القارئ أو السامع من إنسيابية الصور المتلاحقة إلى نهاية المطاف من كل ذلك، فجاء هذا الجواب بدلالة جديدة نحو توسيع واستيفاء كافة الأدلة والبراهين العقلية نحو إثبات يوم البعث،

(١) سورة التين: ١

(٢) في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر دراسة لغوية في شعر السياب ونازك البياتي: مالك المطلبي ٣٤٠.



فتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسير الجبال وتعطيل العشار وحشر الوحوش  
وسجر البحار.... الخ ؛ كلها أدلة على قيام الساعة .

أما لو بحثنا عن علة استعمال (إذا) الشرطية دون غيرها من أدوات الشرط  
عموماً ، وإن الشرطية خصوصاً يسعفنا في ذلك دلالة (إذا) الشرطية إذ من  
خصوصية استعمال (إذا) الشرطية ((دخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع  
بخلاف (إن) فأنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر ))١

خاصة إذا عرفنا أن دلالة (إذا) الشرطية تتأزر دلاليّاً نحو النظر إليها مع  
فعل الشرط وجوابه بوصفها أداة ((نسيجية بحيث جعلت العامل النحوي .يؤثر  
ويتأثر في الوقت نفسه بالعامل الدلالي تحقق الشرط مرهون بتحقيق جوابه ))٢(فـ)  
إذا) ، أداة نقلت الفعل من الماضي إلى المستقبل المطلق المقطوع بحدوثه ، ولهذا جاء  
التعبير بها دون (إن) الشرطية التي لا تفيد القطع بوقوع الحدث ، ومن هنا ندرك  
الفرق الدلالي في استعمال (إذا) ذات الزمن المفتوح ليحقق من الشرط وجوابه  
توازناً ليس في مقاطع آيات (الأثنتي عشرة ) التي نحن بصدد دراستها فحسب بل  
على صعيد الزمن الدال نفسه .

ولو بحثنا عن علة التعبير بـ(علمت ) في سياقها بدلاً من (ستعلم نفس حينها)  
أو ( تعلم نفس ما حضرت ) ؛ لوجدنا إنه لو قال الباري عزّ وجل ذلك لكانت  
صحيحة لغة خاصة وإن القرآن الكريم جاء استعماله للفعل مضارعاً ومستقبلاً في  
موضع وعد ووعيد أيضاً ؛ دليل ذلك قوله تعالى : ((سيعلمون غداً من الكذاب  
الاشر))٣ ((كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون))٤ ، أو قوله تعالى :

١ علل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي :رسالة دكتوراه تقدم بها طه شداد الهيتي إلى مجلس كلية  
الاداب الجامعة المستنصرية : ٢٢٤. وينظر: (إن وإذا لما) في سياقات الابتلاء والخير في القرآن  
الكريم: د.رباب عبد صالح : ٤١٤، مجلة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها  
ج: (١٧)ع(٣٣): لسنة ١٤٢٦هـ.

٢ جملة الشرط عند النحاة والاصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي :تشومسكي ،د.مازن  
الوعر : ٧٧.

٣ :سورة القمر : ٢٦.

٤ :سورة التكاثر : ٤

((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))<sup>(١)</sup>، ولو قراءنا النص تكراراً وتصورنا فعلاً تلك المشاهد المهولة؛ ترى لو كان التعبير بالفعل ( تعلم أو ستعلم ) بدلاً من ((علمت)) هل يؤدي المعنى نفسه؟ وما دلالاته ؟

لما كان الموضع في السورة القرآنية يدعو إلى التأمل والتركيز والتهيه لمشهد جمعت فيه كل مكونات الصورة الحسية والنفسية أمام هول يوم القيامة وتدرج أحداثها من سماوية إلى أرضية دون أن تغادر صغيرة أو كبيرة نحو استغزار النفس الإنسانية واستشعار الخوف ، ولما كان هذا الامر يتطلب المحافظة على ذلك للوصول إلى جواب الشرط بعد تكرار ( إذا ) اثنتا عشر مرة بنفس الاستشعار من الترهيب النفسي .

فقد ((علمت)) محل ستعلم إذ أدت في النص دلالة وكأننا أمام هول الواقعة وداخلين في شباكها مع أنها غير متحققة الآن، فاستحضرتنا من خلال الفعل الماضي (علمت) ، ولو جاءت بـ(ستعلم ) لما حققت الغرض نفسه، إذ أنها تترك مساحة من الوقت مفتوحة للتراخي في الوقت ، وربما الهروب ولو للحظات وستضيع حينها هيبة الصورة في ذلك المشهد الهائل دون أن تبقينا في الترهيب النفسي ذاته هذا من جهة ، ومن جهة أخرى علمية الإنسان بوجود يوم البعث والنشور مترسخة في الذهن أصلاً - والله اعلم- .

وإزاء ذلك نجد أن التعبير بالفعل (علمت) أدى وظيفة نفسية معبرة في احتواء الزمن من جهة ، ونفوسنا الحائرة أمام مشهد تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسجير البحار وتعطيل العشار...الخ من جهة أخرى ، فنجد أن كل صورة من هذا المشهد لو أفردنا دلالتها التعبيرية بما تملكه من خواص بلاغية ونفسية وصوتية :سنجد لها بلاشك أطراً تعبيرية أخرى تبرز وتتكون وتندمج نحو إثراء الأثر النفسي والفني ، ذلك أن ((وضع كل لفظ من الالفاظ موضعها التي تشمل عليها فصول القول ، موضعه الأخص والأشكل به ، الذي إذا بدل مكانه غيره

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧.

.تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام)) <sup>(١)</sup> وهو أساس تعبيري مهم يقوم على دمج الخصائص النفسية والفنية في إطار فهم الغايات واستيعاب الأسباب والمسببات للموقف الديني ف((التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني ، فيما يعرضه من الصور والمشاهد؛ بل لاحظنا انه يجعل الجمال الفني اداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية ، بلغة الجمال الفنية)) <sup>(٢)</sup>

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هو ما دلالة التعبير بـ(نفس) بدلاً من (نفوس) في قوله تعالى: ((علمت نفس ما أحضرت)) مع أن الخطاب لكل البشرية بدليل ((وإذا النفوس زوجت))، وقد وقف العلماء على استعمال (نفس) في هذا الموضع واختلفوا فيه:-

ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) :إنه من باب ((إظهار براءته من التزید، وأنه ممن يقلل كثير ما عنده .. ، فجاء بلفظ التقليل، ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين)) <sup>(٣)</sup>، وهو أيضا مذهب الألوسي الذي رأى في التعبير بـ(نفس) من باب استعارة أحد الضدين للآخر تفيد المبالغة للتعكيس <sup>(٤)</sup>، في حين ذهب ابن عطية إلى القول: ((نفس هنا جنس أي علمت النفوس ، ووقع الافراد لتبنيه الذهن على حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه )) <sup>(٥)</sup>، وذهب الشهاب إلى أن الغرض البلاغي من هذا الاستعمال هو تهويل لذلك اليوم وإظهار لكبرياء الله وعظمته ، حتى كأن جميع النفوس البشرية في جنب ما خلقه من الاجرام العظام أمور قليلة ونفوس حقيرة <sup>(٦)</sup> ، إزاء ذلك ترى الباحثة :أن بلاغة التعبير

(١) بيان أعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن ، الخطابي: ٢٩

(٢) التصوير الفني في القرآن الكريم :سيد قطب: ١١١

(٣) الكشف : ٤ : ١٨٩

(٤) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ١٤: ٨ و ٣٠ : ٥٧ .

(٥) المحرر الوجيز : ابن عطية : ٥ : ٤٤٣ .

(٦) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي: شهاب الدين الخفاجي : ٨ : ٣٢٨ .

القرآني في استعمال نفس بدل (نفوس أو انفس)؛ هي تحتل جميع الاقوال السابقة وهي أبلغ من نفوس؛ لأن القصد منها هو العموم أي جنس بني آدم، وترك تقدير الأمر للسامع الواقع أصلاً في شباك الموقف المهول من باب إقامة الحجة على نفسه وتقرير المخاطب بما عليه<sup>(١)</sup>؛ فلو قال النص (علمت نفوس) بدلاً من نفس لما وقع منها الإعجاز البلاغي، فهو وعيد لكل نفس خاصة وأن زمن العلمية مفتوح مع جنس البشر كما تحدثنا عن دلالة علم في أول البحث؛ إذ أن كل نفس هي في حالة استنفار وذهول كامل بغض النظر عن جماعات بني البشر ((وإذا النفوس زوجت))، إذ النص يصور هول كل نفس مفردة بدليل قوله تعالى في سورة الحج:- ((يَوْمَ تَرُوءُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ))<sup>(٢)</sup>؛ فالذهول هنا يلاءم علمية النفس الانسانية، والتحول في سورة التكوير من نفوس إلى نفس؛ هو تحول شامل لمساحة النص نحو (الإلتفات) في بيان انسابية الذهول من تقريرية (نحن) النفوس إلى (الانا) نفس.

ناهيك عن التلائم الصوتي المتجانس في استعمال علة نفس محل نفوس وهو يوحي إلى دلالة أعمق من تفسيرنا هذا، إذ لو قرأنا السورة ووصلنا إلى حبكة الصراع في فعل الشرط، فيأتي جواب الشرط ليضع نهاية بعد هذا المخاض العسير بهدوء واتزان وحكمة ((علمت نفس ما حضرت)) فصرف الذهن عن الفاعل (الله) إلى (النفس) لأنها هنا محل وعيد متحقق.

وقد أحدث الإلتفات بالضمير (تكلم - غيبة) (أقسم - إنه) في قوله تعالى: ((فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُسِّ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩))، ووظيفة الإلتفات تتحقق من إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة): د. عبد الحميد احمد الهنداوي: ١٠٩.

(٢) سورة الحج: ٢

ناهيك عن ما تمثله كل صورة من تلك الصور - في موقعها والسياق الذي ترد فيه - من إحياءات ودلالات خاصة ١؛ فهذا التحول في الضمائر من المتكلم إلى الغيبة أفاد النص في استيفاء معاني السياق نحو حسن التخلص داخل السورة لا حسن التخلص إلى نهاية السورة فحسب؛ إذ الانتقال من موضع قسم تصويري إلى موضع وصف الوحي مدخلاً لإثبات عقيدة الإيمان وتنزيه الرسالة - كما سنراه بشكل واضح لاحقاً - .

ومن خصائص التعبير في هذه السورة هو اعتماد جمل الشرط على فعل مقدر مبني للمجهول يفسره المذكور، ففي الوقت الذي يطوى فيها الفاعل وتصاغ الجملة الفعلية (المضمر فعلها) أصلاً ونائب فاعل، وقرينة فعلية دالة على الفعل المضمر أو المحذوف يسجل في النص انزياحات دلالية نحو إحتواء الحدس والعاطفة أي (الترهيب والترقب النفسي): فـ ((وجود انزياح دال .. هو وحده الذي يسمح بتحويل ما كان في الحدس والعاطفة مجرد فرضية إلى حقيقة واقعية)) ٢ ولو بحثنا عن أصل الكلام في الآيات الشرطية في سورة التكويد لوجدنا:-

- وإذا كَوَّرَ اللَّهُ الشَّمْسُ كُورَتْ ← وإذا الشَّمْسُ كُورَتْ
- وإذا كَدَرَ اللَّهُ النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ← وإذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
- وإذا سَيرَ اللَّهُ الْجِبَالَ سِيرَتْ ← وإذا الْجِبَالَ سِيرَتْ
- وإذا عَظَلَ اللَّهُ الْعِشَارَ عَطَلَتْ ← وإذا الْعِشَارَ عَطَلَتْ
- وإذا حَشَرَ اللَّهُ الْوُحُوشَ حُشِرَتْ ← وإذا الْوُحُوشَ حُشِرَتْ
- وإذا سَجَرَ اللَّهُ الْبَحَارَ سُجِرَتْ ← وإذا الْبَحَارَ سُجِرَتْ
- وإذا زَوَجَ اللَّهُ النُّفُوسَ زُوجَتْ ← وإذا النُّفُوسَ زُوجَتْ
- وإذا سَأَلَ اللَّهُ الْمَوُودَةَ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ← وإذا الْمَوُودَةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
- وإذا نَشَرَ اللَّهُ الصُّحُفَ نُشِرَتْ ← وإذا الصُّحُفَ نُشِرَتْ

١٠  
١١  
١٢  
١٣  
١٤  
١٥  
١٦  
١٧  
١٨  
١٩  
٢٠  
٢١  
٢٢  
٢٣  
٢٤  
٢٥  
٢٦  
٢٧  
٢٨  
٢٩  
٣٠  
٣١  
٣٢  
٣٣  
٣٤  
٣٥  
٣٦  
٣٧  
٣٨  
٣٩  
٤٠  
٤١  
٤٢  
٤٣  
٤٤  
٤٥  
٤٦  
٤٧  
٤٨  
٤٩  
٥٠  
٥١  
٥٢  
٥٣  
٥٤  
٥٥  
٥٦  
٥٧  
٥٨  
٥٩  
٦٠  
٦١  
٦٢  
٦٣  
٦٤  
٦٥  
٦٦  
٦٧  
٦٨  
٦٩  
٧٠  
٧١  
٧٢  
٧٣  
٧٤  
٧٥  
٧٦  
٧٧  
٧٨  
٧٩  
٨٠  
٨١  
٨٢  
٨٣  
٨٤  
٨٥  
٨٦  
٨٧  
٨٨  
٨٩  
٩٠  
٩١  
٩٢  
٩٣  
٩٤  
٩٥  
٩٦  
٩٧  
٩٨  
٩٩  
١٠٠

١ ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية: د. حسن طبل: ٢٧.

٢ بنية اللغة الشعرية، جان كو هن: ١٧.

- وَإِذَا كُشِطَ اللَّهُ السَّمَاءَ كُشِطَتْ ————— وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ
- وَإِذَا سَعَرَ اللَّهُ الْجَحِيمَ سُعِرَتْ ————— وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ
- وَإِذَا أَرْلَفَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أُرْلِفَتْ ————— وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ

فتكثيف المعاني وتعميقها بهذا الإيجاز أفضى إلى جمالية التركيب البلاغي المعبر عن حبكة الحدث والصراع النفسي المتولد من ذلك الحدث ، والفعل الذي لم يسم فاعله قد جاء في مواضع كثيرة من القرآن ليحمل دلالة معينة في كل سياق حسب اقتضاء المعنى الذي ما كان ليجري في جلاء أو رسم واضح إذا جاء الفعل مبنياً للمعلوم، ومن تلك السياقات المفيدة للعموم ما قام فيه ذلك الفعل الذي لم يسم فاعله بدور بارز في إفادة ذلك المعنى؛ خاصة لو عرفنا حذف الفاعل من خصائص التعبير القرآني والإرتكاز على الفعل المبني للمجهول دليلاً عليه؛ هو ميزة لمشاهد يوم القيامة عامة والوعيد خاص بها ، و ذكر الفاعل خاص بتذكير ابن آدم بالنعم رحمة منه تعالى في سياق الحديث عن الجنة النار وهي من مشاهد القيامة الغيبية الخفية، مجهولة العالم أو الواقع الملموس؛ جاء التعبير عنها بالفعل المبني للمجهول، وذلك معرض ذكر الجنة مقابل ذكر النار؛ وهذا ما وجدته الباحثة في استقصاء آيات القرآن الكريم ؛ دليل ذلك قوله تعالى : ((ولقد اتينا موسى الكتب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل)) ١، وقوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ))

٢ و ((أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)) ٣ كذلك في قوله تعالى : ((إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)) ٤ ترى ما دلالة حذف الفاعل في إطار الفعل المبني للمجهول وما علة استعماله في هذا الحدث ٥.

١ السجدة: ٢٣.

٢ ياسين: ١٢.

٣ الأحزاب: ٣٥.

٤ البقرة: ٢٤.

يمكننا القول : إنَّ الفعل المبني للمجهول يركز على الحدث بصرف النظر عن محدثه ، وفيه من الإسناد المجازي والمطوعة وتقرير الأحداث في طواعية تلقائية ، إذ الكون كله مهياً للقيامة على وجه التسخير والأحداث تقع تلقائية لاحتياج إلى أمر أو فاعل <sup>(١)</sup> ، فالشمس تكوّر تلقائياً والنجوم تلمس والجبال ترج وتتسف والبحار تسجر وهذا هو الحدث خاصة وأنَّ الفاعل معلوم لدى الجميع (الله) جل جلاله المبشر والمُنذر ، والفاعل الآخر في قتل (القاتل) من بني البشر فحذف مع وجود التريية الدالة عليه (الفعل المبني للمجهول) ، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال إذا كان أضمر الفاعل في حدث عظيم يوم القيامة دلالة على التعظيم للفاعل من جهة وهو (الله) وصرف النفس نحو استقراز الرهبة في القلوب ، فلماذا جاءت بـ (قتلت) عندما وقف مع الانتفات في بناء الفعل للمجهول وسط مشهد هائج مائج كان فاعله الأول والأخير هو الله؟ لوما دلالاته في البناء للمجهول؟.

يمكن الاجابة : لما كان قتل الانسان من أعظم الكبائر ، جاء حذف الفاعل هنا للتحقير من شأن هذا الكائن الذي عاث في الأرض فساداً ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها وهي روح (الموعودة) التي تبحث عن ذنب لقتلها في هذا الاستقهام الإنكاري الذي خرج للدلالة على التوبيخ بمعنى (ما كان ينبغي أن تقتل) في قوله تعالى : ((بأي ذنب قتلت))؟ ومن هنا ندرك ان ثمة مقابلة بين هول يوم القيامة على الناس ، والهول الذي يصيب الموعودة عندما تقتل بلا وجه حق ؛ والجامع بينهما هو هول الموقف على النفس الإنسانية جمعاء ، إذ كل بني آدم يؤخذ عند قيام الساعة على حين غرة كما هو حال الموعودة - والله اعلم - .

وإزاء ذلك يمكن أن نقول : إنَّ حذف الفاعل هنا يواكب التعظيم لله من جهة والتحقير لبني البشر من جهة أخرى ، فمن أسس حذف الفاعل تعظيم المحذوف أو تحقيره <sup>(٢)</sup> ، فالتعبير بالفعل المبني للمجهول جاء من باب مراعاة المقام

(١) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ : ١ : ٨١ .

(٢) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى د. محمد عبد المطلب : ٣١٩ .

فاقتضى ذلك عدم ذكر لفظ الفاعل تنزيها له وصيانة وحفظا، والتعبير بالفعل المبني للمجهول سلط الضوء ولفت الانتباه إلى حقيقة الحدث وطبيعته ومدى علاقته وتعلقه بالمفعول الأصلي، فيحقق الغرض الأساسي من إبراز عناصر المشهد ويتيح لها المجال الأكبر لتأدية دورها في قوة ووضوح، دون مزاحمة لفظية أو حضور لغوي لا يتعلق بالغرض به، ناهيك عن تناسب التعبير بالفعل المبني للمجهول (فُتلت) لعلة بلاغية؛ هي تحقيق المناسبة أو الانسجام أو الاتساق بين التركيب في هذا الجزء من السورة، فلما جاءت كلها مبنية للمجهول كان من المناسبة والاتساق والانسجام أن يأتي فعل (فُتلت)، مبنياً للمجهول أيضاً.

والتعبير الجمالي ومنتهاه أن يكون استعمال نظم الكلام وصياغته بما يلائم أحوال وأوضاع المخاطب، للوصول إلى الحالة النفسية المطلوبة وهو كما يسميه افلاطون في نظريته بـ ((التطهير النفسي))، فالحالة النفسية المطلوبة هي (الرغبة) مع أنها رغبة متوقعة حقيقية موجودة فينا لكنها معطلة بشكل مؤقت؛ بسبب النسيان وهذا حال الإنسان، ولكن النص استفزنا وأقحمنا في هذا المشهد، وصرنا جزءاً من الصورة النفسية المتولدة في النص، كما اسلفنا في الحديث عن دلالة استعمال علم بدلاً من ستعلم في (علمت نفس ما احضرت).

ويلعب الوصل أثراً في احتواء البنية المركبة منطلقة في بيان الحدث نحو بيان دلائل الحدث (يوم القيامة) بتفصيل موجز؛ إذ أن من أبرز خصائص التعبير الجمالي والبلاغي وحدة الفكرة والموضوع وانسجام المضمون والصوت مع المشهد الهائل بما يتلاءم والموقف النفسي المطلوب؛ فساهم وصل الصورة بالأخرى من خلال حرف الوصل (الواو) في تحقيق المشهد المتواتر المفضي إلى دلالة نفسية وجمالية في الوقت نفسه، فالوصل شأنه شأن أي وظيفة لغوية أخرى تخضع للمقتضيات النحوية المعقدة، فلقد ذهب ابن مالك إلى أن إفادة الواو للترتيب كثيرة، وإن كانت إفادتها للمعية [التزامن] أرجح من معنى الترتيب<sup>١</sup>، فالمشاركة

١ ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي: تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم  
٢٢٤/٥-٢٢٥.



الإعرابية هي جزء من الدلالة النفسية والعطف ظاهرة لغوية لنشاط نفسي وفعالية عند المتكلم ، وهذا سر اعتبار هـ من مقومات البلاغة العربية ، اذ به تتحقق حيوية الأسلوب وحقيقة العلاقة بين المفهوم والمنطوق والاداء النفسي للجمل والتعبيرات<sup>(١)</sup> ، وسبب الوصل هنا هو الاشتراك في الحكم الأعرابي أو التشابه فيه ؛كما سنلاحظ في المخطط الآتي:-

((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ(٢)

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(٥)

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨)

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ(١١)

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ(١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(١٣)

وصل بحرف العطف (الواو)

الجامع بينها كلها التواتر في الحدث وجمع المشهد لان كل آية صورة متكاملة بـ(الواو) يزيد لها سبكة وتلاحم فضلا عن دلالة التواتر في الحدوث والزمن ؛خاصة إذا عرفنا :أن الوصل "بالواو" يقتضي الاشتراك بالزمان في أغلب الأحيان ، كما يقتضي تلازم الأفعال حتى لا يتصور وجود أحدهما دون الآخر ، فوصل جزئيات المشهد يُحدث توسعاً في المعنى بتأكيدا وتثبيت معناها ، وتتماثل في نوع الأساليب ، ويحيط كل أسلوب بالواو من جهة مغايرة لجهة الآخر ، وكلها داخل في حشد جزئيات الوعيد في استنفار كلي للتهيؤ للنهاية المحتومة (علمت نفس ما أحضرت)والرابط بينها كلها ليس فقط ماأكده حرف العطف من دلالة الاشتراك أو المعية بل كون علمت جواباً لأفعال الشرط المتماثلة أصلاً ، خاصة ان الاداة الشرطية مكررة مع حرف الوصل (الواو).

ورب سائل يسأل فيقول :ماذا لو إكتفى النص بعطف المشاهد بعضها على بعض دون تكرار لأداة الشرط التي تبحث عن جواب طيلة الاثنتي عشر مرة ؛ أي لو كان النص يسير باتجاه ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١) وَالنُّجُومُ انْكَدَرَتْ(٢) الخ)) ؛لما

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية ،د.عبد الله محمد الجبوسي : ٣٣٤ .

كان الأمر كذلك فالشرط ((من مجموع الجملتين ، لا في كل واحدة منهما على الأفراد ، ولا في واحدة دون الأخرى ، لأننا ان قلنا :إنه في كل واحدة منهما على الأفراد جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضيا جزائين ، وليس معنا إلا جزاء واحد وان قلنا :إنه في واحدة منهما دون الأخرى، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط، وذلك مما لا يخفى فساده)) اهذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ميزة التعبير بالشرط كما نجد إن أداة الشرط المكررة زاد النص قوة وبياناً تلاهما نحو الوصول إلى جواب الشرط :خاصة أن المشهد مكون من ((بنية مركبة متعددة المستويات يضيف عليها قيمة دلالية موحدة تجعلها صالحة لأداء وظائفها على هذه المستويات المختلفة))١؛ وإزاء ذلك نجد أداة الشرط تواكب دلالة العطف نحو التوحد بين اجراء النص المركب أو البنية المركبة ، خاصة أن الهدف منه استنفار النفس الانسانية وصولاً إلى جواب الشرط ((علمت نفس ما احضرت)) وهو وعيد مرتقب.

ناهيك عن انزياحات النص وانقطاعه في التحول من الوصل إلى الفصل نحو (كمال الانقطاع ) كون الآية الأولى خبرية والثانية إنشائية إستفهامية في قوله تعالى ((وَإِذَا الْمُؤَوَّدَةُ سَأَلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) )) .

أما في الجزء الثاني من السورة نلاحظ تحول من تصوير مشاهد يوم القيامة إلى القسم ورسم صورة المقسوم به ((فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ (١٦) )) فيكون بين الجملتين اتحاد تام يمنع عطف الشيء على نفسه :كمال الاتصال (اتحاد تام)، وإزاء ذلك فالجوار الكنس هي تفصيل وتوضيح لوصف المقسوم به (الخنس) فقيل (الخنس) هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل أي تظهر وتكون شاخصة للعيان٢ ، فهي شيء واحد عبر به القرآن الكريم تعبيراً جمالياً وبلاغياً ، فلو استعمل التعبير القرآني الوصل هنا بدلاً من الفصل لكان الجوار الكنس مقسوم آخر ، مما يؤدي إلى اضطراب المعنى جملة وتفصيلاً تبعاً لاختلاف

١ التراكيب النحوية من الواجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني :د. عبد الفتاح لاشين ١٣٧.

١ النظرية البنائية في النقد الادبي :د.صلاح فضل :٢٣٢.

٢ ينظر: تفسير القرآن العظيم :ابن كثير :٦٧٢

المعاني الحاصلة من هذا التعبير ،فأيهم أولى بالقسم إزاء ذلك ، وهذا بعيد عن التعبير القرآني وبلاغته ؛فبلاغة الفصل تأتي من التماثل والتوازي ، خاصة وأن الجملة الثانية عادة ما تكون تفسير وبيان وتوكيد أو إجابة أو غير ذلك ، لهذا استعاض هذا الأسلوب بميزات جمالية أخرى استطاع من خلالها تشكيل وحدة نفسية متكاملة قادرة على تبليغ الرسالة في وسط مفعم بالانسجام من خلال توحيد علاقات النص المتشاكلة حيناً والمتباينة أحياناً أخرى<sup>٣</sup>.

ومن جمالية التعبير وبلاغته في الوصل بين الايتين الكريمتين :((وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)) ومن جمالية هذا التعبير وإعجازه القرآني والبلاغي هو التعداد فيما بين الجملتين ، ناهيك عن التشاكل والتماثل قد تعدى التساوي في عدد الحروف والكلمات ، إلى التماثل في الحرفية والاسمية ، وإلى إعادة بعض الألفاظ مع قلب معناها أي مقابلة بين عسيسة الليل وتنفس الصبح وهذا التواتر صباحاً ومساءً ، ناهيك عن الصورة الاستعارية المتولدة من (تنفس) فبلاغة هذا التعبيرأي (تنفس) حاصل من اندماج الصبح بالانسان في الاستعارة المكنية التشخيصية ، والجامع بين تنفس الصبح والانسان التدرج في حلول النهار كما التدرج في تنفس الانسان بين شهيق وزفير ، فضلاً عن مقابلة أخرى حاصلة بين :(( وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣)) ، فاكسب التركيب طابعاً جمالياً تأثيرياً إلى جانب ما فيه من تباين معنوي جذاب في المقابلة بين عسيسة الليل وتنفس الصبح وتسعير الجحيم وتفتح أبواب الجنة .

وهنا تحول المشهد إلى الجزء الثالث والأخير من السورة :إذ من مشهد القسم إلى مشهد محاجة عقلية ؛ومن جمالية التعبير القرآني هو تآزر الفنون البلاغية نحو إحتواء المشهد وفق مقتضى الحال، إذ نجد إزاء ذلك اندماج الفصل والوصل مع الخبر وأضرابه.

ومن التعبير بالفصل والخبر الانكاري قوله تعالى :(( إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ( ١٩ ) ، هو ما نجده حاصلاً في التوكيد لماهية القول ووصف لجبرئيل (عليه

٣ ينظر : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح: ٢١-٢٧ .

السلام)، فالقرآن يصفه بـ(كريم. ذي قوة. مكين. مطاع. أمين) في كل من ((إن) و(اللام) المتزحلقة، فالخبر هنا جاء ليخاطب النفوس المتعنتة كفراً، وبلاغة التعبير بالفصل هنا هو تنبيهاً على رسالة الله للبشرية والتعبير بالخبر الإنكاري من جهة، والفصل من جهة أخرى جاء لإقامة الحجة على نفوسهم في بيان سبب نكران الرسالة السماوية والمرسل جبرئيل (عليه السلام) إلى نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فالخبر الإنكاري مواكب للسياق ومقتضى الحال، لكون المقصود بالخطاب أو المتلقي (الخاص) مُنكراً إنكاراً يستحق معه تأكيد المعنى بأكثر من مؤكد أو بالخبر الأنكاري، إذ لو جاء الخبر إبتدائياً أو طلبياً، لما كان بتلك القوة والزر والنفى مع تأكيد لرسالة الوحي، والحال ينطبق أيضاً على الوصل مع الخبر الإبتدائي (بالباء) في قوله تعالى: ((وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢))) ويذهب الزمخشري إلى تفسير هذه الآية بالقول: ((وَمَا صَاحِبُكُمْ يَعْنِي : محمداً صلى الله عليه وسلم بِمَجْنُونٍ كما تبهته الكفرة، وناهيك بهذا دليلاً على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة، ومباينة منزلته، أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم : إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما ))١٠ فصاحبكم تعود على رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفي الجنون عنه تأكيد على صحة النبوة والرسالة ومرسلها، فما بعد الواو معطوفة على ((إنه لقول)) والخبر الإنكاري حاصل من نفي (البخل في التبليغ أو الاخبار الغيبي) عن جبرئيل (عليه السلام) وتأكيد في الوقت نفسه : ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩))) وإزاء ذلك نجد المعنى على إثبات أنه عليه الصلاة والسلام رسول والرسول لا يقول عن نفسه، ولا هو قول شاعر إثباتاً للرسالة، أما إذا جعل المقصود من السياق إثبات حقيقة المنزل وأنه من الله عز وجل فإنه تذكرة لهؤلاء وحسرة لمقابلتهم، وهو في نفسه صدق ويقين لا يحوم حوله شك، كما يدل عليه ما بعده وللقول الثاني أيضاً موقع حسن: وكأنه قيل: إن هذا القرآن لقول جبرائيل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم كما تزعمون وتدعون أنه

شاعر وكاهن ويكون قد نفي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الشعر والكهانة<sup>١</sup> خاصة بعد ان ابعاد وصف هذا القول عن الشيطان الرجيم - نعوذ بالله منه-  
فالتعبير بالخبر أياً كان نوعه يدفع النص نحو اثبات صلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالوحي في الوقت الذي يحتاج ويناقش ادعاء الكفار ((وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)))... فاللغة الجمالية في مؤكّدات الخبر تبدو خصيصة ذاتية لها تتعلق بالهدف والمقام... إذ تصبح اللفظة في حسن ملاءمتها لأخواتها وإصابة المراد منها جميلة وإلا عدّت مستقبحة، فهي أداة ربط وأداة معنوية في وقت واحد<sup>٢</sup>.

ومن جمالية الفصل هو توضيح وتفصيل، ومتمم لمعنى جملة رسول كريم: ((ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ))، فيكون بين الجمليتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه: كمال الاتصال (إتحاد تام).

ويتبادر إلى الذهن سؤال وهو لماذا جاء التعبير ب(ذي قوة) بدل (قوي)؟ ترى الباحثة إن بلاغة هذا التعبير القرآني ينصب حول ثلاث مسائل مهمة:-

١. القوي اسم لله تعالى، ولو كان الوصف التعبير ب(قوي) لا ب(بذي قوة) لكانت تلك القوة تضاهي قوة الله تعالى، وهذا باطل على الله أن يكون له كفوء أو نظير يوازيه هيبة ((ولم يكن له كفوء أحد)) خاصة والقوي اسم من اسمائه الحسنی .

٢. وإزاء ذلك فإن (ذي قوة) أي المصاحبة توحى دلالتها بانها قوة مكتسبة من الله تمنح فقط لعباده الصالحين، اذ بدونها يستحيل ان تقوم للرسول جبرئيل (عليه السلام) قوة .

٣. ناهيك عن تحقيق التناسق والانسجام بين صوتية (ذي قوة - ذي العرش). ومن جمالية التعبير استعمال (عند)؛ إذ دلت على مصدر تلك القوة التي منحت لجبرائيل (عليه السلام)، فالتعبير ب(عند) لا يراد به الحضور المكاني لأن

1 ينظر: روح المعاني: ٢٦: ٥٠-٤٩

2 ينظر: جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، د. حسين جمعة، ٨٦.

الله لا يحده مكان ، وإنما أراد بالمعنى هو الحضور المقامي والقرب المعنوي<sup>١</sup> :وهو تأكيد في الوقت نفسه على مصدر تلك القوة وهو الله تعالى ، ومن بلاغة التعبير استعمال (ذي العرش) كناية عن ذات الله تعالى: بدل ذكر اسم (الله) مباشرة ؛ويمكن بلاغة هذا الاستعمال (ذي العرش) لما للعرش من أهمية بالغة على غيره ، مع ان الله مالك كل الوجود خاصة وان العرش دليل على ملوكيته .

ناهيك عن أن الخطاب موجه إلى نفوس متكبرة على الله ، فوضع رب العزة أمام أعينهم ((ذي العرش)) :دلالة اعمق في احتواء صورة العرش هيبة وقوة ، والتعبير بالكناية يعمق دلالة المعنى :إذ نجد الدليل مع الدال في آن واحد ، ف ((لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض))<sup>٢</sup> ، فالغرض من هذا التعبير التعرف على مصدر قوة جبرئيل (عليه السلام) وتأكيد على عظمة الله خاصة والسياق مابين القسم والخبر في عدة آيات :جاء لإيقاظ الانسان من غفلته من جهة ومخاطبة العقول البعيدة عن الله من جهة أخرى.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن :ترى ما دلالة التعبير في قوله تعالى :(( وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) ))؟ وسط النفي بـ((ما)) المكثرة ثلاث مرات ٩٩ :((وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)))

لما كانت السورة تبين حقيقة الوحي وحال الكفار حال تغنت ورفض للرسالة والوحي والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاءت (اللام الموطئة للقسم مع قد)اذ القسم محذوف يفسره المذكور تقديره (أي وبالله تعالى) لقد رأى صاحبكم رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) الرسول الكريم (جبرئيل) عليه السلام على كرسى بين السماء والأرض بالصورة التي خلق بها جبرئيل (عليه السلام) ، فالرؤية أصل إثبات الرسالة للمشركين فجاء القسم مع التعبير

1 ينظر: الامثل في تفسير كتاب المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٥ : ١٢٩ .  
2 دلالات الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني: تحقيق د.ياسين الايوبي: ٢٧٢.

البصري بـ(رآه) الفعل ؛ في تكثيف المعنى باللفظ الدال عليه ، فنجد بلاغة التعبير بالفعل (رآه) في إحتواء مصداقية الرسالة جملة وتفصيلاً خاصة التعبير بأسلوب (الجمع مع التقسيم) ❖ :وازء ذلك بلاغة التعبير بـ (رآه) وضعت أمام أعين المشركين الوسيلة التي جمعت الرسول (عليه الصلاة والسلام) بالوحي ، وهو الأصل أو الجمع ؛ قوله : ((وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) ) والتقسيم هو قوله تعالى: ((وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينِ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ )) فهذا التقسيم جاء ليعمق دلالة المحاجة العقلية لحقيقة الرسالة والوحي من جهة وتنزيه الرسالة والمرسل من ادعاءاتهم من جهة أخرى: خاصة ان أصل هذه المحاجة الصلة الحسية إذ الرؤية البصرية بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والوحي .

وفي هذا الأسلوب يبرز لنا قدرة المتكلم على احتواء الانفعالات المتباينة؛ وهو يعمد إلى توجيه الفكر إلى ما فيه صلاح النفس... في الوقت الذي يسعى إلى تنظيم العلاقات بين الكلمات إنما ينظمها بين النفس وما تحمله من أفكار وتلقيه إلى المتلقي، لتحافظ على جسور الاتصال بينهما.

فالصورة الجمالية تتركز في طبيعة الإحساس بها؛ وقد تحوّلت من مجرد شعور انفعالي إلى فكرة معنوية قوية التأثير والفعل<sup>١</sup> ، فالألفاظ المناسبة للمعاني قوة تعبيرية ، بما تحمله من عناصر فنية فضلاً عن معانيها العقلية ، فتحمل في احشائها من صور مدخرة ، ومشاعر كامنة ، لفت نفسها لفاً حول ذلك المعنى العقلي<sup>٢</sup> .

وإزاء ذلك نجد دلالة المحاجة العقلية تتخذ منحى آخر ؛ إذ لم يكتف النص القرآني بنفي الشبهه عن الوحي والرسول بل راح يعمق دلالة الهدف من الرسالة

\* ويقصد به ان يجمع المتكلم بين امرين او اكثر تحت حكم واحد ، ثم يعمد إلى تقسيم ما جمع لبيان الامر ووضوحه ومنه قوله تعالى : ((الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى)) الزمر: ٤٢

١ ينظر: جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، د. حسين جمعة ، ٤١ ،

٢ ينظر: فنون الأدب ، هـ. ب. تشارلتن: ترجمة د. زكي نجيب : ٧٦ .

[illegible][illegible]

الاسم: ((٢٩))

تَبَارَكَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ (٧٨) وَلَهُ يُعَلِّمُ الْهُدَى الْفَرَسَ إِذْ يَبْهِي سَرَسًا (٧٩)



الكريم بصيغ مقارنة مثل قوله تعالى : ((اهدنا صراط المستقيم))<sup>١</sup> أو قوله تعالى : ((واهدني إلى ربك فتحشي))<sup>٢</sup> ؛ وإزاء ذلك ترى الباحثة أنه لو قال تعالى : ((ان يهتدي)) بدلاً من ((ان يستقيم)) لما أدى المعنى نفسه ، فجاء في تاج العروس : (( قام الامر قوماً (اعتدل) واستوى (كاستقام) ومثله أجاب واستجاب وقوله تعالى ((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا )) أي عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم))<sup>٣</sup> ، فالهداية أول الطريق والاستقامة بالإيمان والعمل الصالح غاية ذلك الطريق ، ومنه قولنا : (رجل مستقيم ) أي حسن السيرة والسلوك ؛ وحسن ذلك جاء من معرفة طريق الخير أولاً أي (الهداية إلى طريق الحق ) ثم المداومة على فعل الخير وبالتالي الوصول إلى الاستقامة ومن هنا يتوضح لنا الفرق بين التعبير بالهداية والتعبير بالاستقامة .

والتعبير بـ((أن يستقيم)) أبلغ ؛ إذ العلاقة المجازية المرسلة (المُسببية) ، إذ يذكر النتيجة ((الاستقامة)) ويراد السبب (المداومة على فعل الخير) ؛ ومن هنا نستشف خصوصية التعبير بـ((ان يستقيم)).

ولو بحثنا عن علة هذا التعبير في أسلوب المجاز لوجدنا انه لما كان المخاطب - أي الكفار - في مرحلة نكران للرسالة الاسلامية جملة وتفصيلاً ، فكانوا بعيدين كل البعد عن الهداية إلى طريق الحق ، فعدل عن التعبير بالهداية لما كان حالهم عليه من بعد عن الله وعن طريق الحق فناسب المعنى بالمسبب دون السبب - أي الهداية - .

وقد عمقت (من ) التبعية في (منكم ان يستقيم) دلالة المحاجة في احتواء المخاطب وتقرير التذكير في نفوسهم ، إذ (منكم) مع تشبهم بالضلالة والكفر فنجد قوله تعالى : (( إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا شَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) )) .

1 سورة الفاتحة:٥.

2 سورة النازعات : ١٩

3 تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ٩ : ٣٧ .

وقد ناسبت لفظة (الذكر) قوله تعالى (إنه لقول....) فالذكر اسم من أسماء القرآن الكريم ، وتمتد عمق السورة في احتواء مضمون المحاجة من جهة ، والمناسبة في التعبير من جهة أخرى : إذ اتجهت السورة نحو المقابلة بين : (تشاءون)\* ويشاء الله) : فقابل التعبير بين ضلالة طريقهم الذي عبر عنه ب (تشاءون) وطريق النور والاستقامة الذي عبر عنه ب (يشاء الله) من جهة أو الكفر بالله والإيمان به من جهة أخرى ((فالتقابل يحقق له القدرة على الاستجابة والتأثير ، والإيحاء بالدلائل الكثيرة التي يكثفها على مبدأ التوافق لا التضاد)) (فحسب وإزاء ذلك : يدور أساس هذه المقابلة حول قطبي صراع آدمي (مخلوق) وإله (خالق) .

ورب سائل ورب سائل يسأل فيقول لماذا كرر شاء ثلاث مرات في (من شاء منكم- وما تشاءون- الا ان يشاء الله)؟

لما كان سبب نزول الآية (٢٨) والآية (٢٩) إذ قيل في سبب نزولهما ((لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)) قال أبو جهل : ذاك الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله ((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) ، وإذ تدل هذه الرواية فإنما تدل على شدة مماطلتهم - أي الكفار - فجاء (من شاء) لشد المتلقي المخصوص بالخطاب - أي الكفار - وتذكيره بأهمية العودة إلى الله وجاءت الآية الأخيرة (وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين)) تأكيد بقدر من التذكير والوعيد بعد قول (أبو جهل) كما تذكر الروايات ، وهذا التذكير والوعيد الذي اختزلته السورة في مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة ، فناسب هذا التكرار غلبة قدرة الله ومشيتته على عناد وضلالة وكفر أبو جهل والكفار . فناسب خاتمة السورة مفاتيحها من حيث شدة الوعيد (( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِهَارُ سُجِّرَتْ )) الخ : فما إن غاب الفاعل بصيغة المبني للمجهول حتى ظهر الفاعل ظهوراً واضحاً جلياً في خواتيم السورة مراعيّاً الأثر النفسي الذي تسجله السورة من جلب إنتباه المتلقي وشده إلى الحدث ثم تعريفه بما

١ التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية أسلوبية) : د. حسين جمعة : ١٨٠ .

سيؤول اليه الامر حسب اختياره خير فخير ، وشر فشر ، والفاعل بكل الظروف هو ((رب العالمين)).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو لماذا عبر بـ(رب العالمين) فلم يقل مثلاً رب الناس أو ملك العالمين أو إله العالمين أو كل ذلك على غرار سورة الناس مثلاً: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❖ مَلِكِ النَّاسِ ❖ إِلَهِ النَّاسِ)) ٩١

نجد أن السورة الكريمة تقف على مسألة مهمة هي حقيقة عقائدية توجب الايمان بالله تعالى وتسخر كل المخلوقات في عالمي الانس والجن لعبادته ، وإزاء ذلك جاء التعبير بـ(رب العالمين) مناسب والمعنى رعاية ربوبيته وعنايته لنا ، فهو الذي أوجدنا من العدم؛ فالتعبير بالربوبية هو مناسب لتذكير بني البشر والجن بأن هناك من يرعاكم ولا تروه ويعتني بكم وتذكروهم - سبحانه الله - خاصة بعد مشهد يوم القيامة الموعود ، ناهيك عن الجانب الصوتي المتجانس مع تخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق بل جو السورة كلها ... لتحقيق وحدة الانسجام الصوتي في الفواصل القرآنية ، فالفاصلة في الآيات السابقات هي حرف (النون) ، فكان لزاماً التعبير بـ(رب العالمين)، ف(( اتفاق النغم في أواخر الفواصل يجعلها أكثر تأثيراً ، وأقوى إيقاعاً في الاحساس بالمعنى ))<sup>١</sup>.

اقرأ معي الآيات الأولى من سورة التكويد قراءة تأمل وتدبر ، وحاول أن تتساق مع إيقاعها الهادئ ، وجرسها الموسيقي الهامس: ( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ❖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ❖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ❖ وَإِذَا الْبُحَارُ سُجِّرَتْ ❖ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ❖ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ❖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ❖ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ❖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ❖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ❖

١ سورة الناس (١-٣)

٢ ينظر بحثنا الموسوم بـ(المعوذتان دراسة أسلوبية)، د. هسان محمد ومدرس مساعد: حمدي عباس جاسم ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ع (٩٢) : ٨٦.

١ دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، د. عبد الجواد محمد طبق : ١٦.

وَإِذَا الْجُنَّةُ أُرْلِفَتْ ۖ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ). فما علاقة هذه الدلالات بسورة التكوير وفواصلها ؟

تري الباحثة: أن سورة التكوير تصوير حي ليوم القيامة وما فيه من أهوال ومشاهد مروعة مخيفة تبعث على الانكسار والخوف والقلق من المجهول، وهذا ما يجعل الإنسان يخاف وبالتالي يلجأ إلى الدعاء هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد ان الجانب التصويري يواكب الجانب الصوتي في احتواء مشاهد يوم القيامة : فالحروف ماهي إلّا أصوات تجري في السمع مجرى الألوان في البصر <sup>٢</sup>.

وإزاء ذلك نجد أن كل آية من القسم الأول في تصوير مشاهد يوم القيامة هو حدث وصورة كاملة تامة بحد ذاتها (( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ..... )) ، فتكوير الشمس هو حدث عظيم بحد ذاته يولد صورة ودلالة صوتية في آن واحد في (كُوِّرَتْ) خاصة أن التكوير من تكوير العمامة في اللغة أي لفت على الرأس ، فهي استعارة مكنية (تجسيمية) إذ صار ازاءها لافرق بين رأس المعمم ووضياء الشمس بعد ان صار التكوير جزءً لكل منهما، فالحدث هنا مهول في جلب صورة المعمم للشمس في هذا السياق ، فتوحي (كُوِّرَتْ) على التدرج في حدث التكوير مع هول المشهد في هذه الآيات صورة من صور تأثير التنوع الصوتي في لفافصلة القرآني في الدلالة.

ففواصل هذه الآيات متساوية: إذ كلها تنتهي بالتاء الساكنة، وصوت (التاء) وأن كان من الأصوات المهموسة لكنه يوصف أيضاً من الأصوات الشديدة <sup>١</sup>، فكل مشهد من هذه السورة يبدأ بصوت وصورة ذات تأثير شديد، وينتهي مثلاً ابتداءً: فلو دققنا على دلالة كل حرف من (كورت) نجد ان (الكاف) مهموس و(الواو والراء) مجهوران و(التاء) شديد: فالحدث كما

٢ ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، ٥٤،  
١ ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال : ١٣٧.

اسلفنا يبدأ ثم يعلو ولا ينتهي حتى يتبعه الحدث الآخر قوةً وشدةً ، فالتواتر في الحدث حاصل بدلالة العطف (بالواو) أو الوصل كما اسلفنا :ناهيك عن الإيحاء الذي تسجله دلالة الفواصل في هذا الجزء من السورة (كُورَتْ، انكَدَرَتْ، سيَّرتْ، عطَلَتْ، حشرتْ.....الخ) ،ناهيك عن المقابلة بين الدلالة الصوتية في (سَعَرَتْ)مقابل (أزلفت) :جهنم تتشظى بوقودها شرراً وتطلب المزيد ،وهو ما أوحته بالضرورة الإيقاع الصوتي لصيغة المبالغة (سَعَرَتْ). في حين عدلت الآية في هذه الصيغة في ذكر الجنة بـ(أزلفت) فالكلمة توحى بدلالاتها على الترحيب والانشراح بالضد من (سَعَرَتْ ) التي أوحى بدلالاتها على الوعيد لكل كافر لم يعتبر لا الوعد فحسب.

فالأصوات الفخمة القوية توأتي المواقف القوية ، وهذا الأسلوب كثير في كلام العرب إذ يتغير المعنى بتغير صوتٍ من أصوات لفظه ، بل إنَّ القيمة الصوتية للحرف لا تتحدد في جرسه فقط بل حتى باقترانه مع الأصوات المجاورة في اللفظة :وهنا تكمن بلاغة التعبير من خلال مواكبة اللفظ معناه وموقعه في السياق حتى تنزل المعاني في القلب منزلة الالفاظ في السمع .

ومع تغاير مبنى الفاصلة في الجزء الثاني والثالث من سورة التكوير نجد ان هذا ((التغاير في مبنى الفواصل من خواص نظم القرآن ، وتأتي هذه الظاهرة تشبيهاً للسامع والقارئ ، والملاءمة والاتساق ، ومراعاة المعنى ، وليس لمجرد الحلية اللفظية ))<sup>٢</sup> ، كما وضع هذه الألفاظ بجوار ذلك اللفظ المشرق الرشيق فأقرأ ( تنفس ) في قوله تعالى : (( والصبح إذا تنفس )) ولو رجعنا إلى صوت انفاسنا فهي تبدأ بهدوء ثم يعلو تنفسنا حتى نستنشق ثم نطرح الزفير ؛فالصورة مناسبة مع اللفظ والحروف والمعنى ، كما ظهور الصباح يبدأ بالفجر ويغمر آفاق الارض ظهراً حتى ينتهي مثلما ابتداء وقت الغروب.

وهذا التناسب بين اللفظ الحقيقي والمستعار من جهة ، وتناسب حروف اللفظ داخل إطارها في رسم الصورة من جهة أخرى ، إذ يبدو ذلك في همس التاء والسين

٢ البناء الصوتي في البيان القرآني ، د.محمد حسن شرشر : ٨٠ .

وذلاقة النون والفاء<sup>١</sup>، فاللفظة موحية بدلالاتها وجرسها وبقائها على هذه اليقظة التي شملت الطبيعة بتدرج وهدوء بالضد من عسيسة الليل، فتجد الإعجاز في اختيار الألفاظ لمواضعها ونهوض هذه الألفاظ برسم الصور على اختلافها فهي ملائمة تماماً لرقعة الصبح وثقل الليل على النفس.

ورب سائل يسأل فيقول: لماذا عبر عن الصبح (تنفس) دون غيرها من الالفاظ مثل (أسفر) كما في قوله تعالى: ((والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر))<sup>٢</sup> أو مثل (فالق) كما في قوله تعالى: ((فالق الاصبح وجعل الليل سكناً))<sup>٣</sup>

لما كان السياق يواكب اللفظ وتناسب الفاصلة القرآنية في هذا الجزء ((فلأ أقسم بالخنس (١٥) الجوار الكنس (١٦) واللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) )) هو صوت (السين) فـ(تنفس) تناسب الفاصلة القرآنية مما يولد تناسق بين اللفظة من حيث مبنائها ومعناها إذ ((تكون اللفظة بجرسها دالة على المعنى، مصورة له))<sup>٤</sup> خاصة إن حرف السين ولد تجانساً صوتياً في كل من: (الخنس - الكنس)، فصوت السين من صفاته: (مصمت، رخو، مهموس، منفث: مستقل، مرقق غير مطبق)<sup>٥</sup>، فتناسب التعبير بـ (الخنس والكنس) في إطار تقارب المعاني بينهما كون الخنس والكنس هي النجوم التي تخنس بالنهار وتكنس بالليل - كما اسلفنا - ؛ فلا شك من أن الأصوات تتقارب لتقارب معانيها<sup>٦</sup>؛ وتكرار حرف السين المهموس (ست) مرات يناسب إطار السورة العام، فالألفاظ المختارة كلها تحتوي صوت (السين) الصفيري أي بتكرارها تحدث صوتاً صفيرياً، وسميت صفيرية لأن صوتها يأتي كصفيير الطائر<sup>٧</sup>؛ فجاء بالصاد الصفيري في (الصبح) ليناسب التكرار، فلو كان الاختيار واقعاً على (الفجر)

١ ينظر: جرس الالفاظ ودلالاتها: ١٣٨.

٢ المدثر: ٣٤.

٣ الانعام: ٩٦.

٤ الطبيعة في القرآن الكريم: د. كاسد ياسر الزبيدي: ٤٦٦.

٥ الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين علي الصغير: ٢٣٨.

٦ ينظر: الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق، د. ماهر مهدي هلال، مجلة افاق عربية، العدد ١٧، ١٩٩٢ م: ٧١.

٧ ينظر: جرس الاصوات ودلالاتها: د. ماهر مهدي هلال: ١٣٨.

لأصبح الجرس متعشراً فيه نبوة يوجد لها صوت ( الجيم ) ، الذي سيكون ثقیلاً جداً في مثل هذا السياق ؛ لذلك أرى ضرورة دراسة التناسق الصوتي لأنه سبب لاختيار المفردة مما يحقق للسياق إيقاعاً داخلياً قائماً على التكرار الصوتي الذي يحققه الاختيار الدقيق للمفردة دون الإخلال بقيمته الدلالية.

ورب سائل يسأل فيقول ماعلة تغيير الفاصلة في الجزء الأخير ؛ في حين نجد حرفاً (النون والميم) في الجزء الثالث والآخر من سورة التكويد؟

تري الباحثة أن حرفي (النون والميم) المجهورين سجلاً تناسباً مع مضمون المحاجة العقلية التي ذهبنا إليها في ترتيب الإطار العام للسورة وخصوصية كل فاصلة تتغير وفق السياق الخاص لا العام فحسب ، فلو راجعنا قراءة تنمة السورة في جزئها الثالث والأخير من قوله تعالى : ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ، فالفاصلة هنا متغيرة عن وصف الإطار العام للسورة كونها تشارك فاصلتين في هذا الجزء وهما كما اسلفنا حرفاً (الميم والنون) هذا من جهة ، وهذه المغاييرة تمتد إلى عمق الفاصلتين في احتواء قوة صوت الجهر مما ينسجم وشدة التاء الساكنة وصفيرية السين في مستهل ومضان السورة من جهة أخرى .

وهذه المغاييرة في ترتيب الفاصلة تأتي من خصوصية موضوع محتدم الصراع من أجل إثبات حقيقة الوحي والرسالة وبالتالي حقيقة الايمان بالله والجهر مناسب والمعنى الخاص يندرج تحت مناظرة عقلية بين طرفي نقيض صوت الحق وهو صوت الله - سبحانه وتعالى - وصوت الظلم صوت المخلوق الكافر .

ومن هنا نجد ترتيب الفاصلة معجزاً خاصة بتكرار النون مناسباً للمعنى ، إذ لو بدل حرف واحد لخرج السياق والنص القرآني عن موضع ترتيب الالفاظ والمعاني المطلوبة في جذب المتلقي وتنبيهه إلى النص وبما تنفرد به خصوصية كل

لفظ في السياق العام: فلو بدل حرف واحد لتلاشت جمالية التعبير في سورة التكوير وتغيير المعنى والسياق وتغيير اتجاه القارئ في استشفاف المعاني من تلك الالفاظ .

خلاصة القول :إن التعبير البلاغي والايقاعي في القرآن الكريم صورة للتناسق الفني فيه ،ومظهر من مظاهر تصوير معانيه ، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في أسلوبه المتميز الرفيع . فيحوي القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يؤدي وظائف متعددة فلأثر الممتع للإيقاع ثلاثي الابعاد : عقلي ، وجمالي ، ونفسي وفي كل ذلك نستشف بلاغة التعبير في إحتواء الصوت والصورة والايحاء الذي ينزل في ترتيب الالفاظ في العقل منزلة المعاني في القلب بما تولده هذه الالفاظ من استجابة نفسية -والله الموفق- .

#### الخاتمة

إلى القارئ الكريم اهم ما توصلت إليه من نتائج:-

١. (إذا) ، أداة نقلت الفعل من الماضي إلى المستقبل المطلق المقطوع بحدوثه ، ولهذا جاء التعبير بها دون (أن) الشرطية التي لا تفيد القطع بوقوع الحدث ،ومن هنا ندرك الفرق الدلالي في استعمال (إذا) ذات الزمن المفتوح ليحقق من الشرط وجوابه توازناً ليس فقط في مقاطع السورة (الاثنا عشرة ) الذي نحن بصدد دراسته فحسب بل على صعيد الزمن الدال نفسه .
- من خصائص التعبير في هذه السورة هو اعتماد جمل الشرط على فعل مقدر مبني للمجهول يفسره المذكور ، ففي الوقت الذي يطوى فيها الفاعل وتصاغ الجملة الفعلية (المضمر فعلها) اصلاً ونائب فاعل وقرينة فعلية داله على الفعل المضمرأو المحذوف يسجل في النص انزياحات دلالية نحو احتواء الحس والعاطفة اي (الترهيب والترقب النفسي)
٢. جاء التعبير بـ(ذي قوة) بدل (قوي)؟ ترى الباحثة ان بلاغة هذا التعبير القرآني ينصب حول مسألتين مهمتين:-

١. القوي اسم لله تعالى ، ولو كان الوصف التعبير بـ(قوي) لا بـ(بذي قوة) لكانت تلك القوة تضاهي قوة الله تعالى ، وهذا باطل على الله ان يكون له كنفوء أو نظير يوازيه هيبة (ولم يكن له كنفوء أحد)) خاصة والقوي اسم من اسمائه الحسنی .
٢. وازاء ذلك فإن (ذي قوة) اي المصاحبة توحى دلالتها بانها قوة مكتسبة من الله تمنح فقط لعباده الصالحين ، اذ بدونها يستحيل ان تقوم للرسول جبرئيل (عليه السلام) قوة .



٣. التعبير البلاغي والايقاعي في القرآن الكريم صورة للتناسق الفني فيه ، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه ، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في أسلوبه المتميز الرفيع . فيحوي القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع ليؤدي وظائف متعددة فلأثر الممتع للإيقاع ثلاثي الابعاد : عقلي ، وجمالي ، ونفسي وفي كل ذلك نستشف بلاغة التعبير في احتواء الصوت والصورة والايحاء الذي ينزل في ترتيب الالفاظ في العقل منزلة المعاني في القلب بما تولده هذه الالفاظ من استجابة نفسية ومن التعبير بالجانب الصوتي نجد :-

التعبير بـ(تنفس) في قوله تعالى : (( والصبح إذا تنفس )) فبلاغة هذا التعبير حاصل من اندماج الصبح بالانسان في الاستعارة المكنية التشخيصية ، والجامع بين تنفس الصبح والانسان التدرج في حلول النهار كما التدرج في تنفس الانسان بين شهيق وزفير:ولو رجعنا إلى صوت انفاسنا فهي تبدأ بهدوء ثم يعلو تنفسنا حتى نستشيق ثم نطرح الزفير :فالصورة مناسبة مع اللفظ والحروف والمعنى ، كما ظهور الصباح يبدأ بالفجر ويغمر آفاق الارض ظهراً حتى ينتهي مثلما ابتدأ وقت الغروب - والله اعلم- ناهيك عن جمالية تنفس في السياق مع الصبح هذا غيض من فيض نسأل الله حسن الخاتمة ، وما التوفيق الا من عند الله .

#### المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ الإعجاز الصوفي في القرآن الكريم ، د. عبد الحميد احمد هندأوي المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م
- ❖ الأمثل في تفسير كتاب المنزل :الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،مطبعة سليمان زادة، ط١ (د.ت)
- ❖ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية :د.حسن طبل ،دار الفكر العربي - ١٩٩٨م.
- ❖ الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق ،د.ماهر مهدي هلال ،مجلة آفاق عربية ،السنة ١٧، عام ١٩٩٢م.
- ❖ اعراب القرآن وبيانه:محيي الدين درويش ،دار اليمامة ودار ابن كثير -دمشق- ط١، ٢٠٠٧م.
- ❖ (ان وأذا لما) في سياقات الابتلاء والخير في القرآن الكريم:درباب عبد صالح : ٤١٤، مجلة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها :ج(١٧)ع(٣٣):سنة ١٤٢٦هـ.
- ❖ البلاغة العربية قراءة اخرى:د.محمد عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، ط٢- ٢٠٠٧م
- ❖ البناء الصوتي في البيان القرآني :د.محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية -القاهرة، ط١- ١٩٨٨م.

- ❖ بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العربي ، دار لوبقال للنشر ط١- ١٩٨٦.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، مطبعة الخيرية - مصر ، ط١ سنة ١٦٠٣م.
- ❖ تحليل الخطاب الشعري (ستراتيجية التناص )، د. محمد مفتاح، دارالتوير للطباعة والنشر، بيروت ط١- ١٩٨٥م.
- ❖ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريح - الرياض ، ط١.
- ❖ التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، من سلسلة مكتبة القرآن (١) ط٢ (د.ت)
- ❖ التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي، دار الزهراء ، مؤسسة العطار الثقافية، قم - إيران ، ط١
- ❖ التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د. عبد الله الجيوسي ، دار الفوثاني للدراسات القرآنية ، ط٢ ، ٢٠٠٧م.
- ❖ التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف - القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٧م
- ❖ تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم بالرسم العثماني ، جلال الدين السيوطي، و جلال الدين المحلي قدم له وعلق عليه ، العلامة محمد كريم بن سعيد ، دار القلم ، بيروت (د.ت)
- ❖ تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، راجعه وخرج احاديثه الشيخ ايمن محمد نصر الدين ود. عبد الرحمن الهاشمي ، مؤسسة المختار - القاهرة - ٢٠٠٦م
- ❖ التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (ت - ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٢ ، ١٩٩٧ م
- ❖ تفسير كنز الدقائق وبحر الفرائب: الميرزا محمد المشهدي ، تحقيق حسين وركاهي ، دار الغدير - قم ، ط٢ (د.ت).
- ❖ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، الرماني ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف - مصر ط٢ ، ١٩٦٨م
- ❖ جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال (د.ت)
- ❖ جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ٢٠٠٥م .
- ❖ جملة الشرط عند النحاة والاصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي : تشومسكي ود. مازن الوعر ، مكتبة لبنان - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٩م.

- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) ، تحقيق : طه محسن ، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م.
- ❖ حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي ، شهاب الدين الخفاجي ، سنة ١٢٨٢هـ.
- ❖ دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، د.عبد الجواد محمد طبق ، دار الارقم للطباعة والنشر ١٩٩٣م ، ط١ .
- ❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق دياسين الايوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ٢٠٠٢م
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي (١٢٧٠هـ) ، دار الفكر (د.ت)
- ❖ سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة - ١٩٦٩م
- ❖ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع - ط٢ ، ٢٠٠٤م.
- ❖ الصورة الفنية في المثل القرآني، د.ماهر مهدي هلال، شركة المطابع النموذجية ، عمان ، ١٩٨١م.
- ❖ الطبيعة في القرآن الكريم ، د.كاصد ياسر الزيدي ، دار الرشيد - بغداد ط٢ (د.ت)
- ❖ علل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي :رسالة دكتوراه تقدم بها طه شداد الهيتي إلى مجلس كلية الاداب الجامعة المستنصرية ٢٠٠٧م.
- ❖ فنون الأدب ، (هـ.ب - تشارلتن) ترجمة ، د.زكي نجيب محمود ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- ❖ في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ، دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي ، مالك يوسف المطليبي ، دار الرشيد للنشر - ١٩٨١م.
- ❖ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ( ت ٥٢٨ هـ ) ، صححه : محمد عبد السلام شاهين ، نشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ( ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ) .
- ❖ المحرر الوجيز ، لابن عطية ، تحقيق علي عوض - دار الكتب العلمية (د.ت).
- ❖ المؤذتان (دراسة أسلوبية ) دهمسات محمد حسن والمدرس المساعد :حميدة عباس جاسم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ع(٩٢) لعام ٢٠١٠م.

❖ النظرية البنائية في النقد الادبي ، د.صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط٣ (د.ت)

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): تحقيق وشرح د.عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥.